القراءات القرآنية في تفسير البيضاوي

دراسة وصفية تحليلية

د. عصام بن دخيل الله الحربي

أستاذ القراءات المشارك بجامعة أم القرى

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان موقف الإمام البيضاوي من القراءات ومنهجه في التعامل معها من عرض وتوجيه ونقد.

وقد قسمته إلى مقدمة؛ بينت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وتكلمت فيها عن الدراسات السابقة، وضمنتها هيكل البحث والمنهج المتبع فيه.

ثم أتبعتها بفصلين: الأول: في التعريف بالإمام البيضاوي وبتفسيره، والثاني: ضمنته خمسة مباحث: الأول: في بيان مذهبه في القراءات، والثاني: في طريقته في عرض القراءات، والثالث: في منهجه في توجيهها، والرابع: في منهجه في نقدها، والخامس: في مصادر القراءات في تفسيره.

ومن أهم ما خلصت إليه من نتائج: أن القراءات المتواترة عند البيضاوي ثمانية، وهي القراءات السبع المعروفة وقراءة يعقوب الحضرمي، وما عداها شاذ عنده، وأن الأصل أن البيضاوي يدافع عن القراءات متواترها وشاذها إلا أنه قد وقع منه في بعض المواضع قدح في بعض القراءات لمخالفتها لمذهبه النحوي.

الكلمات المفتاحية: البيضاوي، القراءات، منهج، التوجيه.

مقدمة:

الحمد لله الذي اصطفى من عبده فئامًا، وجعلهم للمتقين معلمًا وإمامًا، وألهمهم العناية بكتابه على الذي أحسن تمامًا، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد سرمدًا ودوامًا، وعلى آله الذين كانوا يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، وأصحابه العالمين بأحكامه حلالًا وحرامًا، ومن اتبع إحسانهم إلى يوم الدين ودخول جنةٍ حسنت مستقراً ومقاماً، وبعد:

فهذه ورقات بحثية كتبتها في دراسة القراءات القرآنية في تفسير البيضاوي وبيان منهجه في التعامل معها، ولم آلُ جهدًا في اختصار ذلك، وتقريب ما هنالك، والكلام عليه إجمالًا وضرب الأمثلة من نصوص كلامه فيما يحتاج ذلك.

أهداف البحث:

سعى البحث الحالي إلى ما يلي:

1/ التعرف على منهج الإمام البيضاوي في إيراد وتوجيه القراءات الواردة في تفسيره.

2/ التعرف على موقفه من القراءات المتواترة والقراءات الشاذة، واحتجاجه بها ولها.

3/ الكشف عن منهجه في نقد القراءات، وأسباب طعنه في بعضها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

وقد دعاني إلى البحث في هذا الموضوع أمور هي:

1 -أهمية تفسير البيضاوي في التراث الإسلامي حيث إنه من أشهر التفاسير وأكثرها انتشارا واشتهارا.

2 -أنني كنت إبَّان بحثي في رسالة الدكتوراه لتعلقها بتفسير البيضاوي فقد أتيح لي النظر في جميع مادته المتعلقة بعلم القراءات، فأردت أن أدون ملاحظاتي واستنتاجاتي في بحث صغير جامع مانع في بيان منهج البيضاوي وبيان موقفه من القراءات في تفسيره.

3 -أنني لم أقف على بحث علميٍّ أكاديمي تناول دراسة القراءات في تفسير البيضاوي دراسة تأصيلية شاملة، فكان هذا الحال أدعى إلى جمع المادة العلمية وتحليلها ثم دراستها وعرضها للقارئ في العبارة المناسبة.

4 -محاولة الوقوف على منهج الإمام البيضاوي في التعامل مع القراءات في تفسيره من حيث العرض والتوجيه والاحتجاج والنقد.

الدراسات السابقة:

وقفت على بحث بعنوان منهج البيضاوي في القراءات في تفسيره، دراسة تطبيقية، وهو من حيث التسمية متوافق مع بحثي ولكن في التفاصيل والجزئيات مختلفان لأمور:

1 -لأن البحث المذكور مبني على دراسة تطبيقية، وأما بحثي هذا فهو دراسة

وصفية تحليلية تأصيلية.

2 -أنني ركزت في هذا البحث على مايهم طالب علم القراءات في ما يتعلق بتفسير البيضاوي، فلم أحْشُ البحث بما ليس منه من المسائل والمباحث.

3 -انفرد هذا البحث ببيان مذهب البيضاوي في القراءات ومنهجه في النقد والكلام على القراءة التي كتب بها تفسيره، ومصادر القراءات فيه.

هيكل البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة وفيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، و هيكل البحث، والمنهج المتبع فيه.

الفصل الأول: التعريف بالإمام البيضاوي وبتفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجمة الإمام البيضاوي

المبحث الثاني: التعريف بتفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل).

الفصل الثاني: تعامل البيضاوي مع القراءات في تفسيره، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: موقف البيضاوي من القراءات .

المبحث الثاني: منهجه في عزو القراءات وعرضها.

المبحث الثالث: منهجه في توجيه القراءات.

المبحث الرابع: منهجه في نقد القراءات.

المبحث الخامس: مصادر القراءات في تفسيره

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

- سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي.
- لم ألتزم في هذا البحث إيراد جميع القراءات القرآنية التي جاءت في تفسير البيضاوي، وإنما أوردت نماذج منها على حسب ما يُحتاج إليه في توضيح المسألة المدروسة.
- اكتفيت في القراءات التي جاءت في نصوص كلام البيضاوي بتوثيقها من تفسيره؛ لأن المراد بيان منهجه وليس تخريج قراءاته من مصادرها الأصلية.
- فرقت بين القراءات المتواترة والشاذة بجعل القراءات المتواترة بين قوسين مزهرين مكتوبة بالخط العثماني، والقراءات الشاذة بين قوسين هلالين مكتوبة بالخط الإملائي.
- لم أترجم للأعلام الوارد ذكرهم في البحث طلبا للاختصار.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الفصل الأول

ترجمة البيضاوي والتعريف بتفسيره.

المبحث الأول: ترجمة البيضاوي:

هو الإمام القاضي أو قاضي القضاة، العلامة، المفسر، الأصولي، الفقيه، النحوي، المتكلم، ناصر الدين، أبو الخير، وقيل: أبو سعيد، وقيل: أبو محمد، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، البيضاوي مولدا، الشيرازي نشأة وإقامة، الشافعي مذهباً[1].

(١) انظر: ترجمته في: السلوك في طبقات العلماء والملوك: 2 / 436، مرآة الجنان: 4 / 220، الوافي بالوفيات: 17 / 206، طبقات الشافعية الكبرى: 8 / 157، طبقات الشافعية للإسنوي: 1 / 284، البداية والنهاية: 17/ 606، تذكرة النبيه: 1 / 104، العقد المذهب في طبقات حملة المذهب: 172، السلوك لمعرفة دول الملوك: (1-3/ 733)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 2 / 28، عقد الجمان: 2 / 357، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: 7/ 110، بغية الوعاة: 2 / 50، طبقات المفسرين للداودي: 1 / 248، مفتاح السعادة: 2 / 103، كشف الظنون: 1/ 186، حاشية الشهاب: 1 / 4، شذرات الذهب: 5 / 392، ديوان الإسلام: 1 / 257، طبقات المفسرين للأدنه وي: 254، روضات الجنات: 5 / 133، هدية العارفين: 1 / 462، الفتح المبين في طبقات الأصوليين: 2 / 91، الأعلام: 4/ 110، التفسير والمفسرون: 1 / 296، معجم المؤلفين: 6 / 97، معجم المفسرين: 1 / 318.

ومن الدراسات المعاصرة التي كتبت عليه: البيضاوي مفسرا: 35 وما بعدها، البيضاوي ومنهجه في التفسير: 8 وما بعدها، البيضاوي وآراؤه الاعتقادية: 19 وما بعدها، مقدمة تحقيق الغاية القصوى: 1 / 70 وما بعدها، مقدمة تحقيق طوالع الأنوار: 7 وما بعدها.

ينسب إلى البيضاء[1]؛ لأنها مكان ميلاده ومحتد أجداده. وولد فيها سنة (642هـ) أو (636هـ)[2].

أما وفاته:

فقد اختلف في سنة وفاته على أقوال، أقواها قولان:

1 – أنه توفي عام (691هـ)، وهذا ذكره السكسكي، والسبكي، والإسنوي، وغيرهم[3].

2 – أنه توفي عام (685هـ)، وهذا ذكره الصفدي، وابن كثير، والمقريزي[4].

واتفقوا على أنه مات بتبريز ودفن بها، وذكر الخوانساري أنه دفن في خزنداب

(١) مدينة مشهورة في بلاد فارس، سميت بالبيضاء لأن لها قلعة تبين من بُعْدٍ ويُرَى بياضها، وكانت معسكرا للمسلمين يقصدونها في فتح اصطخر، بينها وبين شيراز ثمانية فراسخ،ينسب إليها جماعةٌ من أهل العلم، انظر: معجم البلدان:1/ 529.

(٢) نَصَّ بهاء الدين السكسكي في كتابه السلوك في طبقات الملوك:(2/ 436) أن الإمام البيضاوي توفي وعمره تسعٌ وأربعون سنة (49)، وقد اختلف في سنة وفاته على أقوال أقواها قولان كما سيأتي.

(٣) انظر:السلوك في طبقات العلماء والملوك:2/ 436، طبقات الشافعية الوسطى: / 157، طبقات الشافعية للإسنوي:1/ 284.

(٤) انظر: الوافي بالوفيات: 17 / 206، البداية والنهاية: 17 / 606، السلوك لمعرفة دول الملوك: (1 – 3 / 733).

بتبريز على شرق تربة الخواجة ضياء الدين يحيى[1].

شيوخه:

أخذ البيضاوي عن نخبة من العلماء هم جلة عصره، وشموس مصره، وتحصيل البيضاوي للعلم وكثرة مشاركته في العلوم دليل على كمال شيوخه وكثرتهم، فبعضهم أخذ عنه الفقه والقضاء، وبعضهم في التوحيد وعلم الكلام، وبعضهم في السلوك وعلم تزكية النفوس، وبعضهم في الحكمة والفلسفة، إلى غير ذلك من فروع المعرفة التي كان البيضاوي مشاركا فيها.

ومن المظنون أنْ يكون شيوخ البيضاوي كثر اً، ولكن المصادر شحت علينا فلم تذكر منهم إلا قليلاً من أبرزهم:

1- **والده:** وهو قاضي القضاة، أبو القاسم، عمر بن محمد بن علي البيضاوي (675هـ)[2].

وقد صرح بالتلمذة عليه البيضاوي نفسه في مقدمة كتابه الغاية القصوى"[3].

2 - **شرف الدين البوشكاني:** هو شرف الدين عمر الزكي البوشكاني (ت

(١) روضات الجنات: 5 / 136.

(٢) انظر ترجمته في: شد الإزار وحط الأوزار: 299.

(٣) الغاية القصوى: 1 / 220، وانظر: مرآة الجنان: 4 / 220.

680هـ)[1].

ذكره في شيوخه معين الدين الشيرازي في شد الإزار وحط الأوزار[2].

3 - **الشيخ محمد الكتحتائي**: هو الشيخ الإمام خواجة محمد الكتحتائي، كان حيا عام (682هـ)، وهو شيخه في السلوك، وقد تأثر به البيضاوي كثيرا، وألف تفسيره بإشارة من شيخه، ولما مات دفن عند قبره[3].

4 - **شرف الدين سعيد**: وصفه صاحب كتاب السلوك بأنه أوحد علماء شيراز، وأفاد في خبره أن البيضاوي أخذ عنه أصول الدين، ولم أقف على شيء من خبره غير ما ذكر صاحب السلوك عن الزنجاني[4].

5 – **خاله** : شهاب الدين أبو بكر بن نجم الدين عبد الرحمن البيضاوي، ذكره المصنف في جملة شيوخه[5].

6- **نصير الدين الطوسي**: وهو الخواجة الفيلسوف الرافضي محمد بن محمد بن

(١) انظر ترجمته في شد الإزار وحط الأوزار: 299.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) كشف الظنون: 1 / 186 – 187.

(٤) انظر: السلوك في طبقات الملوك: 2 / 436.

(٥) في كتاب تحفة الأبرار : 1 / 5، ولم أقف له على ترجمة .

الحسن الطوسي (ت672هـ)[1]، وقد انفرد بذكره في جملة شيوخ البيضاوي الخوانساري في روضات الجنات[2]، وليس هناك ما يدلُّ على التقائهما بحيث إنه لم يثبت أن البيضاوي رحل إلى بغداد موطن الطوسي، ولا أن الطوسي رحل إلى بغداد موطن البيضاوي، ومع ذلك فلا يمتنع اجتماعهما، فعدم العلم باجتماعهما لا يعني عدم وقوعه.

تلاميذه:

مما عرف به علماء الإسلام عبر التاريخ كله أنهم كانوا يتخذون طلاباً يورثونهم ما حصلوه من العلم، وخاصة إذا اشتهروا بالتحقيق والمشاركة في العلوم، بل كانوا يعتبرون ذلك واجباً شرعياً، فلم يكونوا يردون طلاب العلم والمعرفة إلا بتعليمهم العلم الذي أخذوه عن مشايخهم، ولذلك لسنا نجد أحداً من علماء الإسلام ليس له شيوخ ولا تلاميذ.

هذا وإنّ الإمام البيضاوي من خير من توفرت لديه دواعي كثرة الطلاب من اشتهاره بالعلم والتحقيق وتفرغه للتعليم والإفادة، يساعده على ذلك الاستقرار السياسي والاجتماعي الذي شهده عصره في مدينة شيراز خاصة، ولكن مع ذلك نجد أن التاريخ بخل علينا بذكر تلاميذ البيضاوي فلم يذكر في كتب التراجم منهم إلا

(١) انظر ترجمته في: تواريخ الحكماء والفلاسفة: 2 / 342، الوافي بالوفيات: 1 / 147، معجم طبقات المتكلمين: 2 / 410.

(٢) روضات الجنات: 5 / 136.

اليسير، ولست أدري أسباب ذلك، وفي ما يلي ذكر لأسماء أبرزهم:

1 - **فخر الدين الجارَبَرْدِي**: فخر الدين أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي (ت 746هـ)[1]، العلامة المتفنن في المنقول والمعقول، نزيل تبريز، مؤلف شرح الشافية في علم التصريف، ذكر تلمذته على البيضاوي السبكي، وابن حجر وابن قاضي شهبة.

2 - **كمال الدين المراغي**: كمال الدين عمر بن إلياس بن يونس المراغي، أبو القاسم، ولد بأذربيجان عام (643هـ)، كان حيا سنة (729هـ) وهي السنة التي قدم فيها دمشق[2].

3 - **محمد بن إسماعيل الزنجاني**: ولد عام (662هـ)، قدم به أبوه إلى شيراز، وتعلم بها وصار من أعلامها، نص على تلمذته للبيضاوي صاحب السلوك، ووصفه بأنه من كبار أصحاب البيضاوي[3].

مؤلفاته:

ألف الإمام البيضاوي مؤلفات نالت الحظوة في إقبال الناس عليها، واستفادتهم منها، وسارت بها الركبان، ولهج بذكرها كل لسان، فهذا تفسيره كان مَدْرَسَ الناس

(١) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى: 9 / 8، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 2 / 162، الدرر الكامنة: 1 / 142، شذرات الذهب: 6 / 148، بغية الوعاة: 1 / 303.

(٢) انظر: الدرر الكامنة: 4 / 181.

(٣) انظر: السلوك في طبقات العلماء والملوك: 2 / 435.

قروناً متوالية، وذلك منهاجه وضع بين متون أصول الفقه في المرتبة العالية.

وليس البيضاوي من المكثرين في التأليف، ولكنه من المجيدين، وفيما يلي ذكر لأهم لمؤلفاته:

1 - **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، في علم التفسير، وهو كتاب مشهور مطبوع متداول(١).

2 - **تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة** ، وهو شرح على كتاب المصابيح للبغوي في الحديث(٢).

3 - **شرح أسماء الله الحسنى**، في علم التفسير(٣).

4 - طوالع الأنوار في مطالع الأنظار، في علم الكلام(٤).

5 - الغاية القصوى في دراية الفتوى، في الفقه على مذهب الشافعية(٥).

6 - **لبُّ الألباب في علم الإعراب** ، في علم النحو (٦)، وهو اختصار لكتاب كافية

(١) انظر في الكلام على طبعاته: البيضاوي مفسرا: 70.

(٢) نشرته دار النوادر بتحقيق لجنة التحقيق فيها.

(٣) نشرته دار المعرفة ببيروت، بتحقيق خالد الجندي.

(٤) نشرته المكتبة الأزهرية للتراث بتحقيق عباس سليمان.

(٥) نشرته دار البشائر الإسلامية بتحقيق د. علي القره داغي.

(٦) طبع قديماً في كردستان العراق مع شرحه للأردبيلي.

ابن الحاجب.

7 - **مرصاد الأفهام إلى مبادئ الأحكام**، في أصول الفقه، وهو شرح لمختصر ابن الحاجب[1].

8 - **مصباح الأرواح في أصول الدين** ، في علم الكلام [2]، وهو مختصر من كتابه المتقدم: طوالع الأنوار.

9 - **منهاج الوصول إلى علم الأصول**، في أصول الفقه[3].

10 – **رسالة في موضوعات العلوم وتعريفها**: وهو مصنف عام في موضوعات العلوم.

11 - **نظام التواريخ** ، وهو كتاب مختصر شامل في علم التاريخ، كتبه باللغة الفارسية، دَوَّنَ فيه حوادث بلاد فارس إلى حدود عام (674هـ)[4].

المبحث الثاني: التعريف بتفسير البيضاوي:

هو من أشهر كتب التفسير في الإسلام، وقد كان ولا يزال من أهم كتب الدرس

(١) نشرته دار الضياء بالكويت بتحقيق حسن بن عبد الرحمن الحسين.

(٢) نشرته دار الرازي بالأردن بتحقيق سعيد فودة.

(٣) نشرته دار ابن حزم ببيروت بتحقيق د. شعبان محمد إسماعيل.

(٤) ذكر صاحب كتاب البيضاوي مفسرا: 96 – 97 أنه طبع في إيران والهند، وذكر أنه ترجم إلى لغات عديدة منها اللاتينية، وقد طبع بها، ولا تعلم له ترجمة إلى العربية.

في بابه، ولذلك كثرت عليه المؤلفات من الحواشي وغيرها من التعليقات، حتى أُلِّفَتْ كتب خاصة لتخريج أحاديثه وأخرى لتخريج قراءاته.

وهو كتاب متوسط الحجم من تأليف الإمام عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي، وسماه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل).

ذكر بعض العلماء أنه جعل مصادره فيه ترجع إلى ثلاثة كتب[1] هي:

1) تفسير الكشاف للزمخشري.

2) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني.

3) تفسير مفاتيح الغيب للرازي.

فقالوا: إنْ جُلَّ مادة كتابه يمكن إرجاعها إلى هذه الكتب الثلاثة.

ولكن بالنظر في الكتاب والتأمل في ترجيحاته وتحقيقاته يتبين يقينا أن الإمام البيضاوي كان ذا شخصية علمية مفردة هي التي مكنته من الحكم في غالب مسائل كتابه بما أداه إليه الدليل.

وأيضا يُعلم منها أنه يقيناً رجع إلى بعض المؤلفات الأخرى في التفسير وغيره.

وقد أثنى العلماء على هذا الكتاب ببالغ الثناء وذكروه بأعطر الذكر، ووصفوه بكلام لا يحق إلا في الأمهات الأصول في أبوابها، فمن ذلك قول الإمام السيوطي: " وسيد المختصرات منه كتاب " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " للقاضي ناصر الدين

(١) منهم حاجي خليفة في كشف الظنون: 1/ 186.

البيضاوي، لخصه فأجاد، وأتى بكل مستجاد، وماز منه أماكن الاعتزال، وطرح مواضع الدسائس وأزال، وحرر مهمات، واستدرك تتمات، فبرز كأنه سبيكة نُضَار، واشتهر اشتهار الشمس في وسط النهار، وعكف عليه العاكفون، ولهج بذكر محاسنه الواصفون، وذاق طعم دقائقه العارفون، فأكبّ عليه العلماء والفضلاء تدريساً ومطالعة، وبادروا إلى تلقيه بالقبول رغبة فيه ومسارعة"[1].

وقال حاجي خليفة: " وتفسيره: هذا كتاب عظيم الشأن، غني عن البيان، لخص فيه من (الكشاف) ما يتعلق بالإعراب، والمعاني، والبيان.

ومن (التفسير الكبير) ما يتعلق بالحكمة، والكلام.

ومن (تفسير الراغب) ما يتعلق بالاشتقاق، وغوامض الحقائق، ولطائف الإشارات.

وضم إليه: ما ورى زناد فكره من الوجوه المعقولة، والتصرفات المقبولة، فجلا رين الشك عن السريرة، وزاد في العلم بسطة وبصيرة"[2].

وُضِعَتْ عليه ما يربو عن ثلاثمائة حاشية وتعليقة [3] أشهرها ثلاثة وهي: حاشية محيي الدين زاده (ت 951هـ)، وحاشية الشهاب الخفاجي (ت 1069هـ) المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي، وحاشية القونوي (ت 1195هـ)، وهي حواشٍ بمنزلة الشروح له، فقد تتبعوا ألفاظه لفظًا لفظًا ووضحوا جميع مقاصده وحلوا جميع

(١) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار: 1/ 13.

(٢) كشف الظنون: 1/ 186.

(٣) انظر: جامع الشروح والحواشي: 1 / 388 وما بعدها.

مشكلاته، وهي مطبوعة متداولة.

ونظرًا لكثرة المادة العلمية المتعلقة بالقراءات فيه - بحيث إنه أورد كل ما يتعلق بالقراءات المتواترة والشاذة أصولاً وفرشاً - فقد أُلِّفَتْ بعض الكتب لغرض دراسة القراءات فيه وتوثيقها، ومن ذلك حاشية الإمام ملا علي القاري، التي خصها لتخريج قراءاته وعزوها إلى أصحابها وإفرادها في مؤلف مفرد.

ومما امتاز به أيضا تفسير البيضاوي أنه ما ترك موضعاً مشكلاً من جهة القراءات إلا وتكلم فيه وأشبعه توجيها بعبارة رائقة وحجة فائقة.

ولذلك أصبحت مادة علم القراءات من مكونات الكتاب الأساسية فمن أجل ذلك قمت بهذه الدراسة عليه مبينا منهجه في التعامل مع القراءات.

وأصل ذلك أنني في أثناء إعداد رسالتي لنيل درجة الدكتوراه والتي هي تحقيق ودراسة حاشية ملا علي القاري في تخريج قراءات تفسير البيضاوي والتي تقدم ذكرها، فقد وقع لي اطلاع دقيق وشامل لجميع قراءات تفسير البيضاوي فعلمت أنه من الأفيد أن تقدم دراسة تبين منهجه وكيفية تعامله مع القراءات في كتابه، وقد تقدم الإشارة إلى هذا في أسباب اختيار الموضوع.

الفصل الثاني
تعامل البيضاوي مع القراءات في تفسيره

المبحث الأول: موقف البيضاوي من القراءات

قال رحمه الله يصف تفسيره في مقدمته: "ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين، والشواذ المروية عن القراء المعتبرين"(١).

هذا نص واضح في بيان مذهب الإمام البيضاوي في تصنيف القراءات إلى شاذة ومتواترة، وذلك أنه يقول بتواتر القراءات الثمانية، وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، والكوفيين الثلاثة، عاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب الحضرمي، وقد ذهب إلى هذا المذهب كثير من أهل العلم قبله وفي عصره قبل أن يستقر أمر القراء على العشر المعروفة، وهي هذه الثمانية المذكورة مع زيادة قراءة أبي جعفر المدني واختيار خلف الكوفي.

وقد خصصها بعض الأئمة بالتأليف والبيان، ومنهم: طاهر بن غلبون، في كتابه (التذكرة في القراءات الثمانية)، وأبو علي الأهوازي في كتابه (الوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة)، وأبو معشر الطبري في كتابه (التلخيص في القراءات الثمان)، وأبو عبد الله الحضرمي، في كتابه (المفيد في القراءات الثمان).

(١) تفسير البيضاوي: 1 / 5.

ومما يستدل به أن البيضاوي يذهب إلى هذا القول في تواتر الثمانية وتشذيذ ما سواها أنه سار على مقتضاه في أثناء تفسيره، فقد كان يورد القراء الثمانية مقتصرا عليهم بأسمائهم في الغالب.

ومن هنا يعلم من النص المتقدم للبيضاوي ومن صنيعه داخل كتابه أن القراءات الشاذة في مذهبه هي ما رُوِيَ عن القراء المعتبرين مما هو خارج عن القراءات الثمانية التي تقدم ذكرها، فكل ما بعدها من القراءات شاذ في مذهبه يجري عليه حكم الشاذ، ولم أقف على تفصيل لمذهبه في أحكام القراءات الشاذة.

ومن المعلوم أن القائلين بشذوذ ما سوى الثمانية إنما حكموا بما أداهم إليه علمهم، وقولهم هذا لا يلزم غيرهم في نفي التواتر عن ما سواها، خاصة أن الذين حكموا بتواتر الاثنتين المكملتين للعشرة عندهم زيادة علم جعلتهم يحكمون بتواترها جميعا، ومن علم حجة على من لم يعلم، ونظير ذلك إنكار بعض الصحابة بعض الحروف [1] التي هي عندنا اليوم من المتواتر، فحكمهم كان بحسب ما وصل إليه علمهم، وقد اتُّفِقَ على أنه لا يلزم غيرهم، فلم يأخذ أحد من الأئمة بقولهم.

هذا، ولم يتخذ البيضاوي قراءة معينة أصلاً في تفسيره، وإنما كان يعتبر قراءة الأغلب هي الأصل الذي يبني عليه تفسيره للآيات المختلف في قراءة حروفها، وقد

(١) مثل إنكار ابن مسعود للمعوذتين أن تكونا من القرآن، وغيرها، انظر: الانتصار للباقلاني: 1 / 267.

خالف هذا الأصل في مواضع يسيرة، وقد أشار الملا علي القاري في حاشيته إلى هذا المنهج المتبع عند البيضاوي، وإلى مخالفته له أيضا فقال في موضع تعليقا على البيضاوي؛ إذ خالف ما نهجه في سائر الكتاب: " قوله: **وقرئ: بالتشديد**، هذا قراءة الجمهور، وإنما قرأ ابن كثير والبصري بالتخفيف، فلا يناسب تعبيره بصيغة التمريض، مع أنه مخالف لعادته من جعل ما اتفق عليه أكثر القراء أصلا يبني عليه تفسيره"[1].

المبحث الثاني: منهجه في عزو القراءات وعرضها:

لم يشأ البيضاوي أن يدع كتابه خلواً من توثيق القراءات، فاعتمد عزوها إلى أصحابها، وقد اختط في تحقيق ذلك منهجاً له خاصة في القراءات المتواترة، واستدعى ذلك اختيار كيفيات وإيجاد مصطلحات طلباً للاختصار والإتقان، وخشية التطويل والإملال، وكذلك الأمر في ضبط القراءات فقد استعمل فيه كيفيات إيثارا للاختصار على التطويل، وللضبط على الإهمال، وسأعرض لجميعها في نقاط ثلاثة:

الأولى: اصطلاحات البيضاوي في عزو القراءات:

للبيضاوي كما لغيره من المؤلفين اصطلاحات في عزو القراءات إلى أصحابها، استعملها إيثاراً للاختصار، وغالباً ما تنوب هذه الألفاظ المصطلحة عما هو أطول منها، وقد سار على ذلك في تفسيره كله، وهذه هي اصطلاحاته:

(١) حاشية ملا علي القاري في تخريج قراءات تفسير البيضاوي: 382.

1 -الحجازيان أو الحرميان: ويقصد بهما نافعا المدني وابن كثير المكي.

كقوله: " ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [مريم: 36]، سبق تفسيره في سورة آل عمران، وقرأ الحجازيان والبصريان : (وأَنَّ)بالفتح على وأن، وقيل إنه معطوف على الصلاة"(١).

وقوله: "﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ [العنكبوت: 28]، الفعلة البالغة في القبح، وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر، والباقون على الاستفهام، وأجمعوا على الاستفهام في الثاني"(٢).

2 -البصريَّان: ويقصد بهما أبا عمرو البصري، ويعقوب الحضرمي.

كقوله: "﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ﴾ [الحج: 45]، بإهلاك أهلها، وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم"(٣).

3 -الشامي: ويقصد به عبد الله بن عامر الشامي.

كقوله: "وقرأ الحجازيان والشامي وأبو عمرو﴿ وَصُدَّ ﴾ [غافر: 37]"(٤).

(١) تفسير البيضاوي: 2 / 34.

(٢) تفسير البيضاوي: 2 / 208.

(٣) تفسير البيضاوي: 2 / 94.

(٤) تفسير البيضاوي: 2 / 336.

4 -الكوفيون: ويقصد بهم عاصما وحمزة والكسائي.

كقوله: "﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا ﴾ [مريم: 51]. . . وقرأ الكوفيون بالفتح على أن الله أخلصه"(1).

الثانية: كيفية عزو القراءات إلى أصحابها، وتحته مسائل:

أ – من خلال الاستقراء لكلام البيضاوي يعلم أن البيضاوي لم يلتزم عزو جميع ما ورد في كتابه من القراءات المتواترة إلى أصحابها، بل كان يذكر ذلك في غالب الأحيان، وفي بعضها كان يهملها مِن ذِكْرِ من قرأ بها، وذلك كما في قوله:

- "وقرأ حمزة والكسائي ﴿ أَنْجَيْتُكُمْ ﴾ ﴿ وَوَاعَدْتُكُمْ ﴾ و﴿ مَا رَزَقْتُكُمْ ﴾ على التاء، وقرىء. . . ﴿ وَوَعَدْنَاكُمْ ﴾" (2) [طه: 80، 81]، فقد أورد البيضاوي هذه القراءة بصيغة التمريض مع أنها قراءة أبي عمرو ويعقوب وأبي جعفر(3).

- وقوله: "وقرئ: ﴿ أَرَءَيْتَ ﴾ [الماعون: 1] بلا همزة "(4)، أهمل البيضاوي نسبة هذه القراءة إلى الكسائي.

(1) تفسير البيضاوي: 2 / 36.

(2) تفسير البيضاوي: 2 / 57.

(3) انظر: التيسير في القراءات السبع: 226، تحبير التيسير: 286

(4)تفسير البيضاوي: 2 / 577.

ب – ليس من منهج البيضاوي عزو القراءات الشاذة إلى أصحابها، بل كان غالبا يهمله فلا يذكر من قرأ بها، وكان يعزو بعضها، وذلك كما في قوله:

- " ويؤيده قراءة أُبَيٍّ: (مَثَلُ نُورِ المؤْمِن)[1].
- "وفي حرف أُبَيٍّ رضي الله عنه: (وَإِنَّ إِبليسَ)"[2].
- "ولما في مصحف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: (مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَـهُنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ)"[3].

ج – بالاستقراء يعلم أن البيضاوي في الغالب يورد القراءة المتواترة بصيغة الجزم، والشاذة بصيغة التمريض، وفي الأقل يعكسهما، وهذه طريقة له في إيراد القراءات، ولا يؤاخذ على مخالفتها لأنه لم يلتزم ذلك نصا، فلا ينبغي عدها في المؤاخذات عليه وإلزامه ما لم يلتزم.

د – أن ترتيب القراء في استعماله كان على هذا النحو في الغالب:

ابن كثير المكي، فنافع المدني، وباقيهم على الترتيب المشهور[4]، ومثال ذلك قوله:

---

(١) تفسير البيضاوي: 2 / 128.

(٢) تفسير البيضاوي: 2 / 299.

(٣) تفسير البيضاوي: 2 / 126.

(٤) اختلف المصنفون في القراءات في تقديم القراء في كتبهم، فالأكثر على تقديم نافع على ابن كثير كالداني في التيسير وجامع البيان، والشاطبي في حرز الأماني، وغيرهما، وقدم بعضهم ابن كثير على نافع كابن سوار في

- " وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الياء فيهما"[1].
- "وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر بالتاء"[2].

ومن استعماله تقديم القراء على الرواة، وهذا في الغالب كما في قوله:

- "ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع ﴿ وَلْيَتَمَتَّعُوا ﴾ بالسكون" [العنكبوت: 66][3].

وقد خالف هذا الترتيب في الأقل فجاء بعكسه كما في قوله:

- "وقرأ نافع وابن كثير: ﴿ لَهُدِمَتْ ﴾ [الحج: 25] بالتخفيف"[4].
- "وقرأ حفص وحمزة والكسائي: ﴿ نُوحِيَ إِلَيْهِ ﴾ [الأنبياء: 25] بالنون وكسر

المستنير وابن الفحام في التجريد وغيرهما، وإلى هذا أشار ابن الوجيه الواسطي حيث قال: "اعلم أن مصنفي كتب القراءات رحمهم الله منهم من بدأ بمكة، ومنهم من بدأ بالمدينة حرسهما الله، وقد رأيت أن أبدأ بمكة؛ لأنها حرم الله، ومنشأ النبوة، وفيها بدأ الوحي، وكان منها الإمام عبد الله بن كثير " الكنز في القراءات العشر:1/ 111.

(١) تفسير البيضاوي: 2 / 297.

(٢) تفسير البيضاوي: 2 / 98.

(٣) تفسير البيضاوي: 2 / 214.

(٤) تفسير البيضاوي: 2 / 93.

الحاء"[1].

- "﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾[النور: 21]. . . وقرأ نافع والبزي وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة بسكونها"[2].

الثالثة: في كيفية ضبطه للقراءات:

استعمل البيضاوي كيفيات في ضبط القراءات دفعاً للاشتباه بين الحروف والحركات والأوزان وغيرها، فتعددت أساليب ضبطه للكلمات، وسأجمل ذكرها فيما يلي:

1 – الضبط ببيان نوع الحرف، كما في قوله:

- "﴿ ٱلَّذِى فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴾ [مريم: 34]. . . وقرىء بالتاء على الخطاب"[3].
- "﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾[طه: 102]، وقرأ أبو عمرو بالنون"[4].

2 – الضبط ببيان نوع الحركة، كما في قوله:

- "وقرىء: (وَهُنَ) [مريم: 6] بالضّمّ والكسر"[5].

---

(١) تفسير البيضاوي: 2 / 70.

(٢) تفسير البيضاوي: 2 / 121.

(٣) تفسير البيضاوي: 2 / 33.

(٤) تفسير البيضاوي: 2 / 60.

(٥) تفسير البيضاوي: 2 / 28.

- "وقرئ: (خَطِّفَ) بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها"(١).

3 – الضبط ببيان نوع الوزن، كما في قوله:

- "وقرىء: (ذَكَّرَ رحمةَ) على الماضي، و(ذَكِّرْ) على الأمر"(٢).
- "و(أُوَيْرِثٌ) بالتصغير"(٣).

4 – الضبط بالتشبيه بالمثال الأشهر، كما في قوله:

- "وقرىء: (وَهُنَ) [مريم: 6] بالضم والكسر، ونظيره كَمُلَ بالحركات الثلاث"(٤).
- "وقرأ حمزة والكسائي: ﴿ شَقَوَتُنَا ﴾ [المؤمنون: 106] بالفتح كالسعادة، وقرئ: بالكسر كالكتابة"(٥).

5 – الضبط ببيان الأصل الصرفي، كما في قوله:

- "وقرىء. . . (وَزِيّاً) [مريم: 74] من الزي، وهو الجمع(٦).

---

(١) تفسير البيضاوي: 2 / 289.

(٢) تفسير البيضاوي: 2 / 28.

(٣) تفسير البيضاوي: 2 / 29.

(٤) تفسير البيضاوي: 2 / 28.

(٥) تفسير البيضاوي: 2 / 115.

(٦) تفسير البيضاوي: 2 / 41.

- "وقرىء: يُفْرِطَ من أفرطتُه، إذا حملته على العجلة" [1].

6 – الضبط ببيان نوع التغير الصوتي للحرف، كما في قوله:

- "﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: 22] بمتسلط، وعن هشام بالسين على الأصل، وحمزة بالإشمام" [2].

- "وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وأبو بكر والسوسي : ﴿ أَرْنَا ﴾ [فصلت: 29] بالتخفيف كفَخْذ في فَخِذ، وقرأ الدوري: باختلاس كسرة الراء" [3].

المبحث الثالث: منهجه في توجيه القراءات:

مما يمتاز به تفسير البيضاوي عن كثير من التفاسير توجيهه للمشكل من القراءات متواترها وشاذها، وقد تناولها بالتوجيه بكل أنواع التوجيه اللغوية وغيرها، وقد بلغت ستة أنواع استعملها كلها في توجيه القراءات:

1 – **التوجيه بالنحو**، كما في قوله:

- "﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: 88]. . . وقرأ ابن عامر وأبو بكر بتشديد الجيم على أن أصله نُنَجِّي حذفت النون الثانية، كما حذفت التاء الثانية في

(١) تفسير البيضاوي: 2 / 51.

(٢) تفسير البيضاوي: 2 / 556.

(٣) تفسير البيضاوي: 2 / 348.

(تَظَاهَرُونَ)، وهي وإن كانت فاء فحذفها أوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى، ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين، فإن الداعي إلى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الإدغام، وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس، وقيل: هو ماض مجهول أسند إلى ضمير المصدر، وسكن آخره تخفيفا، ورد بأنه لا يسند إلى المصدر والمفعول مذكور، والماضي لا يسكن آخره"[1].

● "﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ [طه: 63]. . . هذان اسم (إِنَّ) على لغة بلحرث بن كعب، فإنهم جعلوا الألف للتثنية وأعربوا المثنى تقديرا، وقيل: اسمها ضمير الشأن المحذوف (وهذان لساحران) خبرها، وقيل: إِنَّ بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر، وفيهما أن اللام لا تدخل خبر المبتدإ، وقيل: أصله إنه هذان لهما ساحران، فحذف الضمير، وفيه أَنَّ المؤكد بالكلام لا يليق به الحذف، وقرأ أبو عمرو ﴿إِنَّ هَذَيْنِ ﴾ وهو ظاهر، وابن كثير وحفص ﴿ إِنۡ هَٰذَٰنِ ﴾ على أنها هي المخففة، و اللام هي الفارقة أو النافية، واللام بمعنى إلا"[2].

(١) تفسير البيضاوي: 2 / 80.

(٢) تفسير البيضاوي: 2 / 53 – 54.

2 – **التوجيه باللغات**، كما في قوله:

- "وقرىء: (وَقِرِّي) [مريم: 26] بالكسر، وهو لغة نجد" (١).
- "﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾ [طه: 18]، وقرئ: (عَصَيَّ) على لغة هذيل"(٢).

3 – **التوجيه بالصرف**، كما في قوله:

- "وقرئ: (المِخَاضُ) [مريم: 23] بالكسر، وهما مصدر" (٣).
- "وقرىء: (وَقِرِّي) بالكسر وهو لغة نجد، واشتقاقه من القرار" (٤).
- "وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب: ﴿ أَفَتَمْرُونَهُ ﴾ [النجم: 12]، أي أفتغلبونه في المراء، من ماريته فمريته" (٥).
- "وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص: ﴿ بَلِ ادَّارَكَ ﴾ بمعنى تتابع حتى استحكم أو تتابع حتى انقطع، من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك، وأبو بكر: (ادَّرَكَ) وأصلها تَفَاعَلَ وافْتَعَل" (٦).

---

(١) تفسير البيضاوي: 2 / 32.

(٢) تفسير البيضاوي: 2 / 47.

(٣) تفسير البيضاوي: 2 / 31.

(٤) تفسير البيضاوي: 2 / 32.

(٥) تفسير البيضاوي: 2 / 429.

(٦) تفسير البيضاوي: 2 / 182.

4 – **التوجيه بالبلاغة بأقسامها الثلاثة:**

أ – **المعاني**، كما في قوله:

● "وقرأ حفص: ﴿ مِن كُلٍّ ﴾ [المؤمنون: 17]، بالتنوين، أي من كل نوع زوجين، واثنين تأكيد"[1].

● "وقرئ برفع (الدِّينُ) [الزمر: 2] على الاستئناف لتعليل الأمر، وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام" [2].

ب – **البيان**، كما في قوله:

● "﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ [العلق: 16] بدل من (الناصية)، وإنما جاز لوصفها، وقرئت بالرفع على: هي ناصيةٌ، والنصبِ على الذم، ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الإسناد المجازي للمبالغة" [3].

● "﴿ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَٰتٌ ﴾ [المرسلات: 33]، جمع جمال أو جمالة جمع جمل، ﴿ صُفْرٌ ﴾ فإنّ الشرار بما فيه من النارية يكون أصفر، وقيل: سُودٌ؛ لأن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة، والأول تشبيه في العِظَم، وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة، وقرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿ جِمَٰلَتٌ ﴾ ، وعن يعقوب: ﴿ جُمَٰلَٰتٌ ﴾ بالضم جمع جُمالة، وقد قرىء بها، وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه"[4].

---

(١) تفسير البيضاوي: 2 / 105 – 106.

(٢) تفسير البيضاوي: 2 / 316.

(٣) تفسير البيضاوي: 2 / 568.

(٤) تفسير البيضاوي: 2 / 135.

ج - **البديع**، كما في قوله:

● "وقرأ ابن عامر: ﴿ خَرْجاً فَخَرْجُ ﴾ ، وحمزة والكسائي: ﴿ خَرَاجاً فَخَرَاجُ ﴾ للمزاوجة"(١).

● "﴿ أَن يُؤْتُوٓاْ ﴾ [النور: 22]. . . وقرئ بالتاء على الالتفات" (٢).

5 - **التوجيه برسم المصحف**، كما في قوله:

● "وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب: على إضافة (آل) إلى (ياسين) لأنهما في المصحف مفصولان" (٣).

● "والهاء فيه وفي ﴿ حِسَابِيَهْ ﴾ و ﴿ مَالِيَهْ ﴾و ﴿ سُلْطَنِيَهْ ﴾ للسكت تثبت في الوقف، وتسقط في الوصل، واستحب الوقف لثباتها في الإمام، ولذلك قرئ بإثباتها في الوصل" (٤).

7 - **التوجيه بمجرد التفسير وبيان معنى القراءة**، كما في قوله:

● "وقرىء: (خَفَّتِ المَوَالِي مِن وَرَائِي) أي قلوا وعجزوا عن إقامة الدين بعدي، أو خفوا ودرجوا قدامي"(٥).

● "وقرأ حمزة والكسائي: ﴿ فَتَثَبَّتُوا ﴾ [الحجرات: 6]، أي فتوقفوا إلى أن يتبين

(١) تفسير البيضاوي: 2 / 112.

(٢) تفسير البيضاوي: 2 / 122.

(٣) تفسير البيضاوي: 2 / 299.

(٤) تفسير البيضاوي: 2 / 500 .

(٥) تفسير البيضاوي: 2 / 28 .

لكم الحال"[1].

المبحث الرابع: منهجه في نقد القراءات:

من المعلوم أن من أضبط القواعد في النقد هي قواعد نقد القراءات في الإسلام، وهي ترجع إلى ثلاثة أصول، هي كالتالي:

1 -اعتبار المصاحف العثمانية.

2 -اعتبار القواعد النحوية.

3 -اعتبار صحة السند واستفاضة العلم به.

فأي قراءة قصرت عن أحد هذه الشروط تُرَدُّ عند العلماء ولا تعتبر قرآنا.

إلا أنهم اختلفوا في بعض الدقائق المتعلقة بهذه الأمور وخاصة ما يتعلق منها بالنحو؛ لأن الشرطين الباقيين ينعدم فيهما الخلاف، وأما النحو فلاختلاف علماء النحو في كثير من القواعد منعًا وتجويزًا انبنى عليه كثير من النقد للقراءات القرآنية وتضعيفها من جهة نحوية.

فهذا هو الميزان العام الذي اتخذه جمهور العلماء في نقد المنقول والمروي من القراءات، وتلك إلماحة إلى أهم أسباب اختلافهم في رَدٍّ أو قبول بعض القراءات، وخاصة من جهة نحوية.

والإمام البيضاوي لم يكن بدعا من العلماء فقد سلك مسلكهم في ذلك، ولم يحد عنه قيد أنملة.

ويمكن تلخيص مذهبه النقدي في مطلبين:

المطلب الأول: في دفاعه عن القراءات وتوجيهها.

(١) تفسير البيضاوي: 2 / 408 .

فقد كان يوجه القراءات بما تعطيه القواعد النحوية ويجتهد في تحقيق ذلك، وهذا هو الأكثر الأعم في تفسيره، بل وَيَرُدُّ على من طعن فيها، ومن أمثلة ذلك:

● قوله:" وكذلك ننجي المؤمنين من عموم دعوا الله فيها بالإخلاص وفي الإمام: «نجي» ولذلك أخفى الجماعة النون الثانية فإنها تخفى مع حروف الفم، وقرأ ابن عامر وأبو بكر بتشديد الجيم على أن أصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية في ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾[البقرة: 85] ، وهي وإن كانت فاء فحذفها أوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فإن الداعي إلى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الإدغام وامتناع الحذف في ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾ [السجدة:16] لخوف اللبس"(١).

فقد رد هنا على أبي البقاء العكبري في تضعيفه هذه القراءة (٢)، ووجهها توجيهًا حسنًا.

● قوله:" وأما قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان ﴿أَرجِئْهِ﴾ [الأعراف:111] بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فإن الهاء لا تكسر إلا إذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة، ووجهه: أن الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها"(٣).

المطلب الثاني: رده لبعض القراءات العشرية:

هذا، وقد كان للبيضاوي موقف غير مرضي من بعض القراءات المتواترة فحكم على بعضها باللحن وعلى بعضها بالضعف من جهة اللغة، وهو مخالف في ذلك لجمهور

(١) تفسير البيضاوي: 2/ 80.

(٢) انظر: إملاء ما من به الرحمن: 2/ 136، حاشية زاده: 3/ 366، حاشية الشهاب: 6/ 270.

(٣) تفسير البيضاوي: 1/ 362

العلماء الذين قبلوها وأخذوا بها وذكروا لها وجوها تدفع عنها ما يُظَنُّ بها من اللحن والضعف، ومن أمثلة ذلك:

- قوله:" وقرئ: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة:6] بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين، وقلبها ألفا وهو لحن لأن المتحركة لا تقلب، ولأنه يؤدي إلى جمع الساكنين على غير حده"(١).
- وقوله:" ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ مغفرته ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾[البقرة:284] تعذيبه، وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف، وجزمهما الباقون... وإدغام الراء في اللام لحن إذ الراء لا تدغم إلا في مثلها"(٢).
- وقوله:" ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾[النساء:1] بالنصب عطف على محل الجار والمجرور، كقولك: مررت بزيدٍ وعمرًا، أو على الله أي اتقوا الله واتقوا الأرحام فَصِلُوها ولا تقطعوها. وقرأ حمزة بالجر عطفًا على الضمير المجرور، وهو ضعيف؛ لأنه كبعض الكلمة"(٣).
- وقوله:" وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء بإضافة القتل إليه مفصولاً بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية

(١) تفسير البيضاوي: 1 / 20، وهذه قراءة متواترة عن نافع من رواية ورش، انظر: النشر في القراءات العشر:2/ 1155.

(٢) تفسير البيضاوي: 1/ 146، وهذه القراءة متواترة عن أبي عمرو بخلف عن الدوري، انظر: النشر: 3/ 1553.

(٣) تفسير البيضاوي: 1/ 202، وهذه القراءة متواترة عن حمزة، انظر: النشر: 4/ 2259.

معدود من ضرورات الشعر كقوله: فزججتها بمزجة ... زج القلوص أبي مزادة"[1].

وبعد تسليم أنّ النقود التي وجهها الإمام البيضاوي إلى القراءات المذكورة خطأ منه رحمه الله إلا أننا نحاول أن نلتمس بعض الأمور التي يمكن أن تكون أعذارا له ولغيره من العلماء الذين وقع منهم قدح في بعض القراءات المتواترة، ومن هذه الأمور:

1 -ينبغي أن يعلم أنه إلى عهد الإمام البيضاوي لم تكن القراءت بالطرق المعلومة بتفاصيلها مستقرة بعد، فكان ربما حصل من العلماء رد لبعض الحروف المنسوبة إلى أحد القراء السبعة أو غيرهم من أهل التواتر، وقد كان كثير من أهل العلم لا يعلم بتواتر قراءة أبي جعفر او غيره من الثلاثة.

2 -أن غالب الانتقادات لا تخرج عن القواعد العامة التي تقدم ذكرها وعن الترجيح بينها، فيمكن ترتيبها من حيث القوة بحسب الاستقراء عند الإمام البيضاوي هكذا:

- موافقة رسم المصحف العثماني.
- القاعدة النحوية، لأن في نقل غالبها وقع الإجماع، وفي بعضها شبه إجماع.
- صحة السند ، واستفاضة العلم به، وهذه الأخيرة وقعت إلا أن العلم بها نسبي، فقد كان بعض العلماء أحظى من بعض في العلم بها، وعليه فبعضهم يحكم بتواتر قراءة في الوقت الذي الآخر لا علم له بها، وبعضهم يحكم بصحتها والآخر لا علم له بها وهكذا.

ولم يرتفع وقوع هذه النسبية في العلم بأسانيد القراءات إلا بعد استقرار العلماء على القراءات السبعة ثم العشرة بعد الشاطبي ثم بعد ابن الجزري.

(١) تفسير البيضاوي: 1/ 333، وهي قراءة متواترة عن ابن عامر، انظر: النشر: 4/ 2301.

فيجوز على هذا وقوع الخلاف في زمن البيضاوي في بعض تفاصيل القراءات.

المبحث الخامس: مصادر القراءات في تفسيره

قد عُلم أن البيضاوي كان واسع الاطلاع قليل النظير في معرفة أصول القرآن وفروعها ومنها علم القراءات، وهذا موجب لكثرة مصادره في القراءات المتواترة والشاذة، إلا أن هذا لم يقع لأن المؤلف سلك في ذلك مسلك العلماء في عصره وقبله حيث إنهم كانوا ينقلون من المصادر دون ذكرها وخاصة في العلوم المتفق على مادتها مثل علم القراءات والفقه وغيرها، فقد كان البيضاوي يرجع بلا شك إلى مصادر لتحرير المسائل قبل البت فيها إلا أنه لم يذكرها للاعتبار السابق.

والاعتبار الثاني أنه لم يذكر مصادره إيثارا للاختصار كما أنه لم يذكر مصادر الحديث والآراء الفقهية والمسائل اللغوية إيثاراً للاختصار أيضاً.

هذا ومن الثابت بالاستقراء ونص العلماء أن البيضاوي اعتمد في تفسيره على ثلاثة كتب قد تقدم ذكرها.

والذي يهمنا منها هنا هو مصدره في القراءات، وقد تبين لي أن غالب مادته في القراءات الشاذة من تفسير الكشاف للزمخشري، وأما القراءات المتواترة وهي عنده ثمانية قراءات السبعة المعروفين وقراءة يعقوب الحضرمي، فلم أهتد إلى مصدر له اعتمده فيها، علماً أنّ المؤلفات في عصره وقبله في ذلك كثيرة ولكن مع ذلك لم يمكنني أنْ أقطع بأحد المصادر.

الخاتمة:

وفي نهاية هذا البحث ، وختام هذه الدراسة أحب أن أحيط القارئ علماً بأهم النتائج التي توصلت إليها من هذه الجولة البحثية في هذا الموضوع، وهي:

1 -أنّ مذهب الإمام البيضاوي في القراءات هو أنه يقول بتواتر الثمانية وتشذيذ ماسواها.

2 -أنّ الغالب على الإمام البيضاوي هو الدفاع عن القراءات، وقد وقع منه في بعض المواضع قدح في بعضها.

3 -أنّ أسباب قدح الأئمة في القراءات القرآنية ترجع إلى أمور هي:

- عدم استقرار ما جرى به الأخذ والعمل من الطرق والأسانيد في زمانهم وقبله.
- نسبة العلم والمعرفة بالتواتر من بعض الوجوه، وخاصة من جهة السند.
- أنّ القراءة إذا لم يؤيدها المصحف وخالفت النحو فإن مجرد السند لا يعطيها القوة التي من نقد النحويين.

التوصيات:

1/ دراسة مناهج العلماء في نقد القراءات.

2/ دراسة تاريخية لظهور التسبيع والتثمين والتعشير في القراءات مع دراسة أسبابه.

3/ دراسة في نسبية العلم بالتواتر بالنسبة لأفراد العلماء.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين